أصبح المديح هو الغرضَ الغالب على الشّطْرِ الأكبر من الشّعر العربي .

من أجل كلّ ذلك أصبح الشُّعراء مَشْغولين عن الالتفات إلى شخصيّة الرّسول ﷺ وتأمُّل سيرته وأعماله ؛ فقد صَرَفتهم عن ذلك السياسةُ والعصبيّات والتّكسُّب بالشّعر ، أو أغراض دنيويّة أخرى مثل الغزل بأنواعه . أما سيرة الرّسول فلم تعدْ مما يَهْتَمُّ به الشُّعراء إلا فيما يخدم الأغراض الأخرى التي ينظِمون فيها ، وإنما تَوَفَّر عليها العلماء من فقهاءَ أو مُحَدِّثين أو مُؤَرِّخين . أمّا الفقهاء فقد كانوا يَتَتَبَّعون أقوال الرّسول وأعمالَه حتى يستخلصوا منها تشريعاً تقوم عليه حياة المجتمع الإسلاميّ ، سواء في عباداته أو في معاملاته . وأمّا المُحَدِّثون فقد كان هدفهم جمع الأحاديث النّبويّة ، والحفاظ عليها ، وتمييز صحيحها من زائِفِها . وأمّا المُؤَرِّخون فقد كانت سيرة الرّسول أوّلَ ما يَحْظى بعنايتهم ؛ لأنها مُفْتَتَح التّاريخ الإسلاميّ .

وليس معنى ما نقوله أن الرُّوح الدينيّ خَبا في نفوس الأمّة ، بل ظلّ مُحَرِّكاً رئيسيا لحياة الناس بما فيهم الشُّعراء ؛ فكثيراً ما نجد في الشّعر الإسلاميّ والأمويّ إشارات مُتَناثرة إلى هذا الحدث أو ذاك من سيرة الرّسول ، ولكنّا لا نرى من بين الشُّعراء من اتّخَذَ هذه السّيرة موضوعاً رئيسيا يَتَوَفَّرُ عليه. ولعلّ أكثر الشُّعراء ارتباطاً بشخصيّة الرّسول واستلهاماً لها هم شعراء الشّيعة ، فقد كانوا يعتبرون الخلافة حقا خالصاً لآل بيت الرّسول ، ويعدُّون خلفاء بني أميّة ثم بني العبّاس مغتصبين للخلافة ، وإن كانوا ينتمون إلى قريش . وقد أتى مقتل الحُسَيْن بن عليّ سِبْط رسول الله ﷺ في العاشر من مُحَرَّم سنةَ إحدى وستين للهجرة في كربلاء ، فألهب العواطف وأثار مشاعر المسلمين في كلّ مكان ، وأصبحت مراثي الحسين تحتلّ مساحة كبيرة من الشّعر الشّيعيّ ، وكان من الطّبيعيّ أن يتّصل بهذا الموضوع الحديثُ عن فضائل آل بيت الرّسول ، إلى جانب الاحتجاج لِحَقّ علي (رضه) ونَسْلِهِ من بعده في الخلافة. وقد اقتضى هذا الشّعر إشارات عديدة إلى ملامحَ من حياة الرّسول ﷺ ، ولا سيّما